التحليل النفسي بين حداثة فرويد وما بعد حداثة الفرويدويين الجدد

(٢-٢)

د. رضا الموسوي

الفرويديون الجدد الفرويديون الجدد احدى التسميات التي اطلقت في ادبيات علم النفس غلى اتباع الطريقة الفرويدية في التحليل النفسي من علماء النفس الذين عاصروه او الذين جاءوا من بعده على الرغم من اختلاف وجهات النظر التي يحملونها ومن اهم الفرويديون الجدد :

فرويد

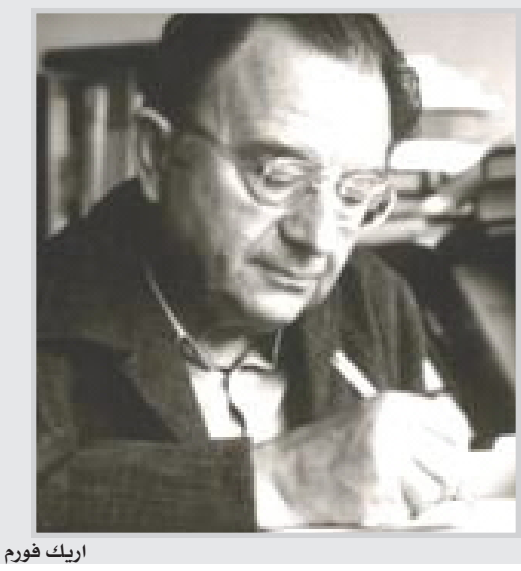
اريك فورم

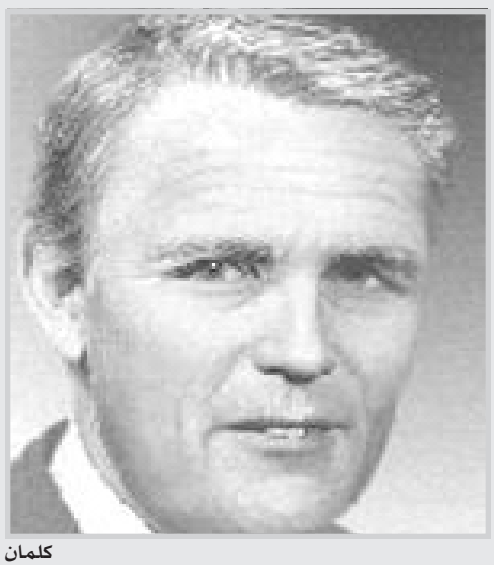
كلمان

ريك

١- كارل يونغ K. JUNG

كان كارل يونغ زميلا" لفرويد وقد افترق عنه بعد ذلك ليدعو الى نظريته التى سميت بـ (علم النفس التحليلي) وتتلخص هذه النظرية بأن مجموع طاقات الحياة الـ Libido لايعد مكونا جنسيا بحتا وانما هو مزيج كبير من غرائز الحياة بأكملها وان الشعور الذي ذكره فرويد يمتد الى اعماق واغوار اكبر فهو ينطلق من اللاشعور الفردي ليلتقي باللاشعور العام للناس وسلالاتهم القديمة جدا" وقد اطلق عليه تسمية (العقل السلالي) An cestral un con-cisus ان يونغ ومن خلال خلافه مع فرويد حاول ان يفسر الهدف والغاية من السلوك لا تفسير الاسباب التي تؤدي اليه.

وكان يرى ان العلاج النفسي لايتيسر الا بمواجهة المريض لعقله اللاواعي الجمعي اذ أن تلك المواجهة تمكنه من استيضاح مشاكله وتعرفه بموقعيته بين الاجيال وهذا هو الهدف الرئيسي من العلاج النفسي اليونغي .

بعد الشهرة التي حققها يونغ من خلال ابحاثه في هذا المجال تمكن من يجمع ان له انصارا" كان الغالبية العظمى منهم من اصحاب الحركة الوجودية التي أسست فيما بعد علم النفس الوجودي بالاضافة الى جمع من علماء النفس الكاثوليك الذين راقتهم مقولته الشهيرة (يجب ان يوجه المرء توجيها دينياً من اجل سلامته النفسية).

ان تأكيد يونغ على مسألة مشاكل الفرد الانية وعلى تكامل شخصيته اثر ايما تأثير في فكر ونظريات الفرويديين الجدد وبشكل خاص رانك وفروم وهورني وبالتالي في مجال العلاج النفسي بشكل عام كما كان له تأثيراً في حركة الامكانيات الانسانية .

Adlar2-ادلر

يعد ادلر الزميل الثالث لفرويد اذ ان طريقته في التحليل النفسي لاتختلف من حيث الاسلوب مع فرويد الا انها اكثر ايجازا" من طريقة فرويد فقد بنيت على أسس نظرية تختلف جذريا عن نظرياته فالحالات التى اولاها فرويد أهمية من الناحية الجنسية عدها ادلر من حالات شعور الفرد بالنقص ويرى ان بالامكان تحليل الفرد وفهمه عن طريق أهدافه وحاجاته الحياتية الحاضرة ولم يول أهمية لماضيه الطفولي كما كان يفعل فرويد فهو ينمو وفقا لطبيعة النظام الاجتماعي الذي يحيط به وليس بقوة القوى البايلوجية التي يمتلكها وقد استخدم طريقة تحليل الاحلام كأسلوب للاستقصاء النفسي، وكان يجلس المريض بمواجهته خلافا لما كان يفعله فرويد الذي كان يأمر المريض بالاستلقاءعلى الاريكة، ويعمد ادلر الى مقاطعة المريض اثناء عملية العلاج خلافا لما كان يقوم به فرويد الذي يترك الحالة في عملية من الاسترسال السلس للحديث دون مقاطعة كنوع من التداعي الحر للافكار وأولى أهمية واضحة للصلة بين الحالة (المريض) ومعالجه اذ كان يرى ان بأمكان هذا المعالج اقامة جسر وعلائق اخرى بينه والحالة .

اما الاهتمام والحب بين الناس فكان يرى في نقصهما سببا" في فشل الفرد في حياته وان اكتمالهما يسهم في نجاحه ولذا فقد اولى أهمية لعملية التحليل الاجتماعي عند الحالات التي كان يقوم بعلاجها .

٣- كارين هورني K.Hornay

انعطفت كارين هورني انعطافا كبيرا بالنظرية الفرويدية وخاصة في مجال القلق فهى ترى انه ناجم عن شعور بالعجز تجاه دنيا مشحونة بالعداء وشعور بفقدان الضمان مما يولد انواعاً من العصاب كعصاب القلق نحو القوة ونحو الحب ونحو العطف ونحو الرضوخ والانسحاب فالطفل اذا ما اضطربت علاقته بوالديه فانه ينمو وهو يشعر ان العالم الذي يعش فيه اساس لتهديد وجوده بالخطر والايذاء وهذا ما يجعله في عداد المرضى النفسيين وقد يلجأ الى ممارسة عدد من الحيل الدفاعية (الميكانزمات) من اجل التخفيف من وطأة هذا القلق وبهذا تصبح هذه المكانيزمات حاجات نفسية مرضية تترك في نفسه صورة مثالية عن نفسه هذا هو الجانب النظري لابحاث هورني اما الجانب النفس العلاجي فقد دأبت فيه على مساعدة الحالة التي تعالجها من اجل محاربة هذا الشعور غير الواقعي الذي يرى فيه المريض نفسه، وتعينه في ان يستبدل حاجاته النفسية المرضية بدوافع اخرى سليمة وواقعية ليرى نفسه على حالتها الواقعية فهورني ترى ان الشفاء الحقيقي للمريض يتمثل في قوى تكمن في العقل والبدن معا وان دور المعالج هنا مساعدة الحالة على ازالة ما هو ضار فيها واسناد القوى الشافية عن طريق وعي عميق وواسع للنفس، وهذا الوعي من شأنه اضعاف القوى المعوقة والمعترضة والتي تعد قوى" هدامة في جهاز كبرياءه لتنموفي نفسه قوى" حقيقية بناءة بدلا" منها.

٤- ستكل Sttekl

اما ستكل فعد من الفرويديين الجدد الذين اهتموا بجوانب العلاج النفسي العملية اكثر من اهتمامه بالتنظير فهو يولي اشد اهتمامه للصراعات الانية التي تعانيها الحالة المطلوب منه علاجها دون الاهتمام بالصراعات السابقة وهو بذلك يخالف فرويد الذي طالما اهتم بماضي مرضاه بدلا من حاضرهم، اما اضافاته للعلاج النفسي فان في مقدمتها اعطاءه اقصى الاهتمام لشخصية المريض الذي يقوم بعلاجه لا لطريقة العلاج نفسها، فالشخصية كما يراها ستكل من اهم العوامل التي تساعد الحالة (المريض) على الشفاء، ولهذا فهو يركز جل اهتمامه على الكيفية التي تمكن المعالج الوصول الى هدفه.

٥- تيودور رايك T. Reik

رأيك هو احد الفرويديون المحدثين فقد اهتم بتقديم تفاسير جديدة للشخصية معتبرا" اللاشعور جهازا" لتسلم مثل هذه الحوافز الفوق حسية Extra sensory stimuli النادرة ومن جملتها التخاطر Tel-epathy وقد اكد على ان العصاب ناتج عن فقدان الثقة بالنفس الا ان رايك اتجه اتجاها" جنسيا منعطفا الجانب زميله فرويد في تحليله اسباب الامراض النفسية فكان يرى ان الفرد عندما ينشغل في الوصول الى ذروته في علاقاته الجنسية يكون عرضة للاصابة بالامراض النفسية كردود فعل للحالة التي يعانيها . وقد اولى أهمية كبيرة لكل ما من شأنه ان يطلق طاقات الجسم البايولوجية المعطلة للمساهمة في العلاج النفسي الذي يراه مناسبا".

٦- ادولف ماير A. Mair

التزم ماير بالعلاج النفسي المستند علي النظرية التكاملية Intigiral Thiory وهي نظرية تأخذ في عملها مزج العوامل النفسية والفسيولوجية والاجتماعية ولهذا فهو يرى ان العلاج المعقول لابد ان يكون مبنيا على نوعين من العلاج احدهما نفسي والاخر جسمي مادي .

ان وصول المعالج الى حالة من التكامل وفق هذه النظرة يمكنه من الالمام القوي بالمعارف البايولوجية والاجتماعية الى جانب اختصاصه كمعالج نفسي، وان عليه ان يستخدم ما يتيسر لديه من علاج نفسي او دوائي مع تقدير ماير للعلاقات الاجتماعية للعوامل النفسية واهميتها في عمليات التفاعل الذي يحدث الانفعالات المرضية .

وام يعر ماير العوامل النفسية اللاواعية تلك الأهمية التي اعارها لها فرويد .

٧- هاري سوليفان H. Sul-van

سوليفان هذا يرى ان العلاقة بين المريض النفسي والمعالج يجب ان تبنى على اساس انسان قوي فهو يعرف العلاج النفساني بانه العلم الذي يدرس العلاقات الانسانية المتبادلة Inter personal Relation ships وهو بذلك يقترب من اتجاه ادولف ماير اكثر من اقترابه من اتجاه زميله فرويد . ان سوليفان ومن خلال ادبياته التي تركها في مجال العلاج النفسي اكد على أهمية التعاطف والتقمص مع الحالة التي يعالجها فالأنسان في نظره نتاج لحالة من التفاعل الفيما بيني مع الاخرين وان الحاجات البدنية والحاجة الى الامن والاطمئنان هما من الحاجات الرئيسية للانسان واذا ما حدث عدم اشباع فان الفرد سيصاب بحالة من القلق ولن يصل الى الاطمئنان الذي يقصد به القناعة وهي حالة من ارضاء الحاجات البايولوجية وهي غاية يعتمد في تحقيقها على مقدرته النامية مع نموه على فهم وتحليل الرموز في محيطه الاجتماعي .

٨- كلمان Kalman

يرى كلمان ان اسباب التوتر وعمليات الدمج والانحلال ترجع في اصلها الى عمليات طبيعية متوالية وهو يرى ان التوتر والقلق الخلاق من شأنه ان يساهم في خلق حالة نفسية صالحة وسليمة وبشكل خاص عندما يكون هذا الفرد في حالة احساس كاملة الوعي لما يجري، ولكنه اذا ما فقد هذه الحالة من الاحساس الواعي لهذا القلق والتوتر واغرق في حالة من الدمج فانه سيصبح عرضة للاضطراب النفسي .

٩- برن Berne

يعد برن من الفرويدين المحدثين فهو صاحب نظرية العلاج التحليلي العاملي Transactional Analysis الذي يعد اسلوبا ديناميكيا للعلاج النفسي ويستند هذا العلاج على نظرية مفادها ان لكل فرد حالات من الانا Ego لكل منها كيان خاص من الشعور او السلوك والهيئة ووجهة النظر ونبرة الصوت وتجميع الكلمات وكل حالة من هذه الحالات هي الدافع النفسي للفرد في وقت معين وان مجموع هذه الحالات يمثل الشخصية للافراد . وقد قسم برن هذه الحالات الى ثلاث هي:

(الاب) Fathar State وتتضمن القيم والمعاني والمواقف التي يتصف بها الاب والتي يعد ذات اثر في تكوين شخصية الفرد (الابن) اما الحالة الثانية فهي حالة (الطفل) Baby state التي تتمثل فيها بقايا الشخصية الطفولية ومكوناتها من تجارب وعواطف والهامات واحلام وخيالات وعفويات . والحالة الثالثة من الحالات التي قسمها برن هي حالة النامي Grownal state وتمثل الانا Ego التى زودتها بها حالة الاب وحالة الطفل مع ما زوده المحيط الخارجي (البيئي) ووفاً لهذه النظرية فان الفرد يتعامل مع (الغير) الافراد الاخرين وهو في حالة او اخرى من هذه الحالات الثلاث وقد يتعامل باكثر من حالة واحدة في الوقت نفسه، مع تغلب احد هذه الحالات في عملية التعامل هذه ولكل حالة من الحالات آنفة الذكر قدرة على التفاعل مع مثيلتها في الاخر المتعامل معه فحالة التوازن في حالاته الثلاث يجنب الفرد الوقوع في حالة من الاضطراب والتوتر.

ان مسألة التوازن تتطلب تحليلاً لمجال الخلل في التعامل ووضع الحالة التي يتم معالجتها في حالة تعبير لتوجيهه من اجل تبني حالة الانا المناسبة في شخصيته عندما يتفاعل مع الحالة التي توافقه في الاخر.

١٠- اتو رانك O. Rank

يرى رانك ان أول صدمة للقلق تأتي من عملية الولادة ينجم عنه اذى وشدة نفسية TRUMA وهو في هذه العقيدة يرى ان الإنسان عندما يولد ويخرج الى الوجود يشعر بحالة من افتقاد الضمان التي كان يشعر بها وهو داخل رحم امه، ولذا فان الارادة بحسب وجهة نظر رانك هي العامل الاساسي في تكوين شخصية كل فرد واضطرابها يؤدي الى حالة من الشعور بالذنب ومن هذا المنطلق فان العلاج النفسي هو محاولة ادخال الشعور بالمسؤولية والارادة في ذهنية الحالة المعالجة وباسرع وقت.

١١- اريك فروم Erich Fromm

ان النقطة الأساسية في نظريات فروم النفسية هي حاجة الإنسان لان يجد معنى من وحدته وفردية حياته ولهذا فقد وجه كبير اهتمامه الى عالم الاجتماع فكان من المؤسسين لعلم النفس الاجتماعي Socio Psychology ويرى فروم ان الإنسان منذ ولادته عرضة للتفاعل والتأثر بالظروف الاجتماعية وان فلسفة الانتروبولوجيا تمكننا من الفهم الواقعي لعلم النفس المرضي كما ويرى فروم ان ميول الافراد لا تتمثل بالغرائز فقط كما كان يرها زميله فرويد وانما تتمثل بالميول الحياتية وتتمثل بالحب والقوة والشهرة والمبادئ الإنسانية والدينية.

ولقد قسم فروم الشخصية الإنسانية وفقاً لرؤيته الى قسمين هما:

١- الشخصية من النوع المنتج Pro-ductive Type ويتمثل هذا النوع في الشخصية الناجحة فقط.

٢- الشخصية من النوع غير المنتج Non Productive Type وهذا النوع يتمثل في مجموعة من الاشكال والصفات هما

أ- الشخصية المحسوبية Produc-tive Type وهذا النوع من الشخصيات تحاول ان تحصل على الارباح والاشياء جاهزة من الغير فهي تعيش مستندة على الافراد ذوي القوة والكرم والثقافة لذلك فهي تتعرض لحالة من القلق والاصطراب والرعب في حالة تعرض من تتطفل عليه الى اذى أو تلاشت امكاناته المادية والمعنوية ويمكن تفسير الميول السادية Sadism والمازوشية Masocism لهذا النوع من العلاقات.

ب- الشخصية من النوع الاستغلالي Exploitive Type ان هذا النوع من الشخصية يحاول ان يحصل على كل حاجاته بأية وسيلة مكمنة عن طريق الحيلة أو العنف وهي قريبة الى الشخصية الميكافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) ونجد مثيرتها في صفات الانتهازي الذي يتصف بالتقلب والمجاملة والغيرة والحقد.

ج- الشخصية المدخرة (الكنوزة) The Hooding Type تتصف هذه الشخصية بالبخل ودائمة الشعور بعدم الاطمئنان من اكتساب شيء جديد ولذلك فهي تحاول الادخار والاكتساب واذا ما انفقت أي شيء فان ذلك يسبب لها نوعاً من القلق والاضطراب كما وتتصف هذه الشخصية بالتدقيق في صغائر الأمور وحب الانتظام وضبط المواعيد مع اتصافها بانعدام الابتكارية وانعدام المرونة.

د- الشخصية السلعية The Mar-keting Type وهذا النوع من الشخصية يعرض نفسه للبيع لأي شخص يستغله ويتصف صاحبها بالتون والتقلب بحسب الظروف التي ترى فيها امكانية النجاح.

اللعب بالمقدسات

ورد الجبوري

الى فترة قريبة كان الامل يحدو كثيرين في الخروج من المأزق الذي اريد منه تقسيم العراق وتفتيت نسيج شعبه المتماسك تاريخيا . ومبعث ذلك الامل ان السياسيين من المسلحين وغير المسلحين ظلوا لمدة طويلة حذرين في حراكهم السياسي وفعلهم المسلح من التلاعب بالمقدسات العراقية ، وحتى الاقتراب منها.

وادرك الجميع بعد مرور ما يقرب من الاربع سنوات على سقوط النظام واحتلال العراق، ان المعاول التي تهدم في جدار العراق وشعبه لم تكن انعكاسا لهشاشة في وحدة الشعب العراقي كما يحلو للبعض ان يؤصل لمثل هذا الامر في تنظيراته التي توردها الصحف والمجلات، وانما انعكاس لصراع جماعات متناقضة على السلطة، مستندة في ذلك الى اسس خاطئة لبناء تريده شامخا ولكن بهويات فرعية تظن انها صاحبة الحق فيه، متناسية ان بناء الدولة العصرية لن يكون مالم تتشكل هوية اوسع واشمل من الطائفة والقومية والمناطقية . كما ان تلك المعاول انعكاس لجماعات وافدة نهلت ثقافتها من مدارس التطرف والتي تعد بمجملها غريبة عن ثقافة العراقيين المشبعة بروح التسامح والتعايش المشترك من دون ان تتشكل لهذه الروح قصدية في الوعي الشعبي، بل جزء من بنية ثقافته وشخصيته الوطنية، بمعنى ان ذلك لم يشكل مقطعا من تفكيره ليفتعله، وسفر التاريخ العراقي الطويل لم يخبرنا بأن ابن الرافدين كتب في مدوناته الطينية ما تطالعنا به اللافتات الاعلانية الكبيرة المنتشرة في شوارعنا اليوم والتي تقول (اقوام متعددة ووطن واحد)، اوما تجتره السنة الفاعلين السياسيين من مفاهيم اوجدت لها مكانا بارزا في دستورنا الدائم مستغلة انشغال الرأي العام بهمومه اليومية لتقحم مصطلحات (الاطياف) و(المكونات) التي لم يكن لها وجود في قاموس العراقيين سابقا .

وبذلك فان اللعب بمقدسات العراقيين سواء اكانت هذه المقدسات رموزا دينية ام مفاهيم اجتماعية، يكشف في جانب منه ان بدائل معارضي العملية السياسية بدأت تضيق الى حدود كبيرة، واصبح من اللازم بنظرهم الاستناد الى بديل اللعب بالمقدس لافشال هذه العملية وما ينتج عنه من فعاليات بضمنها الفعاليات الامنية التي يراد منها فرض القانون لاستتباب الامن والاستقرار، بخاصة وان المعارضين ليس بمقدورهم الافصاح علانية عن رغبتهم باستمرار حالة التدهور الامني لاثبات ان الطرف الاخر غير قادر على تحقيق الاستقرار واعادة بناء الدولة المهدمة .

وهذا ما حدث فعلا بتفجير مرقد الامامين العسكريين وما نتج عنه من تداعيات خطرة قادت الى ما نحن عليه اليوم من اقتتال اخذ في جانب منه بعدا طائفيا.

وبعد مرور اكثر من سنة على تلك الجريمة التي تبرأ منها جميع العراقيين يبرز الى واجهة المشهد السياسي اللعب بمقدس اخر يأبى العراقيون المساس به سواء اكان ادعاء كاذبا ام حقيقة واقعة، متمثلا بالشرف العراقي، مستغربين فعل المتاجرين به بلا وازع من ضمير او دافع من غيرة على وطن صيروه بافعالهم اضحوكة لشعوب العالم اجمع بعد ان كانت هاماتهم تنحني له اجلالا واكراما .

وبصرف النظر ان كانت حادثة صابرين الجنابي محض ادعاء وهي كذلك بحسب نتيجة التحقيق العاجل الذي اجرته اللجنة التي شكلها رئيس الوزراء نوري المالكي واكدها بما لايدع مجالا للشك التقرير الطبي الصادر عن مستشفى ابن سينا، او اذا كانت حقيقة وهو افتراض غير صحيح، فان التعامل مع حوادث كهذه ينبغي ان يتم بمنتهى السرية وليس على طاولة فضائية الجزيرة، لان مثل هذه الحوادث من شأنها الانحدار بالوضع في العراق الى منزلقات غاية في الخطورة يدفع الجميع ثمنها الغالي من دون استثناء، ذلك ان النجاح في توظيف هذه الحوادث سياسيا يقفز بالفتنة الطائفية الى مرحلة متقدمة في وقت نريد اطفاء نارها الخبيثة .

ومع كل ما اثير في حادثة صابرين الجنابي من تهويل اعلامي وتسرع في ابداء الآراء واطلاق الاحكام من جهات سياسية ودينية والتي حذر منها رئيس الجمهورية جلال طالباني، داعيا تلك الاطراف الى افساح المجال للقضاء لاصدار القول الفصل بما هو حق او باطل، مع كل ذلك تبقى هذه الحادثة التي يفضل عدم الوقوف ازاءها طويلا، لاتنطوي على خطورة كبيرة بحد ذاتها، الا اذا كانت حلقة ضمن مخطط بحلقات اخرى لانتهاك مقدس وصولا لهدف سياسي، يقينا انه سريع الانهيار لان وسيلة بلوغه لم تكن اخلاقية .

والسؤال هل يمكننا نفي قيام احتمال كهذا مع التمنيات ان تكون التحليلات غير دقيقة بهذا الصدد، لكن وقوع حادثتين متزامنتين يشم منهما رائحة امكانية بروز ما اشرنا اليه ؟ فمع ان حادثة صابرين الجنابي لم تغادر بعد سلم اولويات فضائياتنا العربية حتى قفزت الى الواجهة حادثة تلعفر التي اعلنها قائممقام المدينة عبدالله الجبوري من ان المواطنة واجدة محمد امين ذات الخمسة والاربعين عاما تقدمت بشكوى تفيد ان اربعة من رجال الشرطة وضابط انتهكوا شرفها، ما دعا الجهات الامنية الى احالتهم الى القضاء، وذكر ان المدعية كانت تتحاشى الاعلان عن هذا الاعتداء، الا ان ظهور الجنابي على شاشات التلفزيون منحها (الجرأة) لتقديم شكواها .

وفي اليوم نفسه اعلنت محكمة عسكرية امريكية في ولاية كنتاكي الحكم بالسجن مئة عام على جندي امريكي اغتصب فتاة المحمودية عبير الجنابي وقتل ذويها جميعا بتخطيط مسبق مع رفاقه الذين شجعهم على هذا الفعل الشنيع ان في اسرتها رجلاً واحداً فقط مما سهل عليهم المهمة على حد قولهم .

عموما نظن ان هذه الوقائع اذا لم يتخذ بشأنها اجراء حاسم أو تفند بشكل واف فانها ستنطلي على كثيرين على الرغم من لامنطقيتها، كما انطلت على بعض المنفعلين سياسيا وطائفيا شائعات لاترقى الى مستوى الحكايات، لكنها مع ذلك اكلت من جرف العراق كثيرا، وضيقت من فسحة الامل .

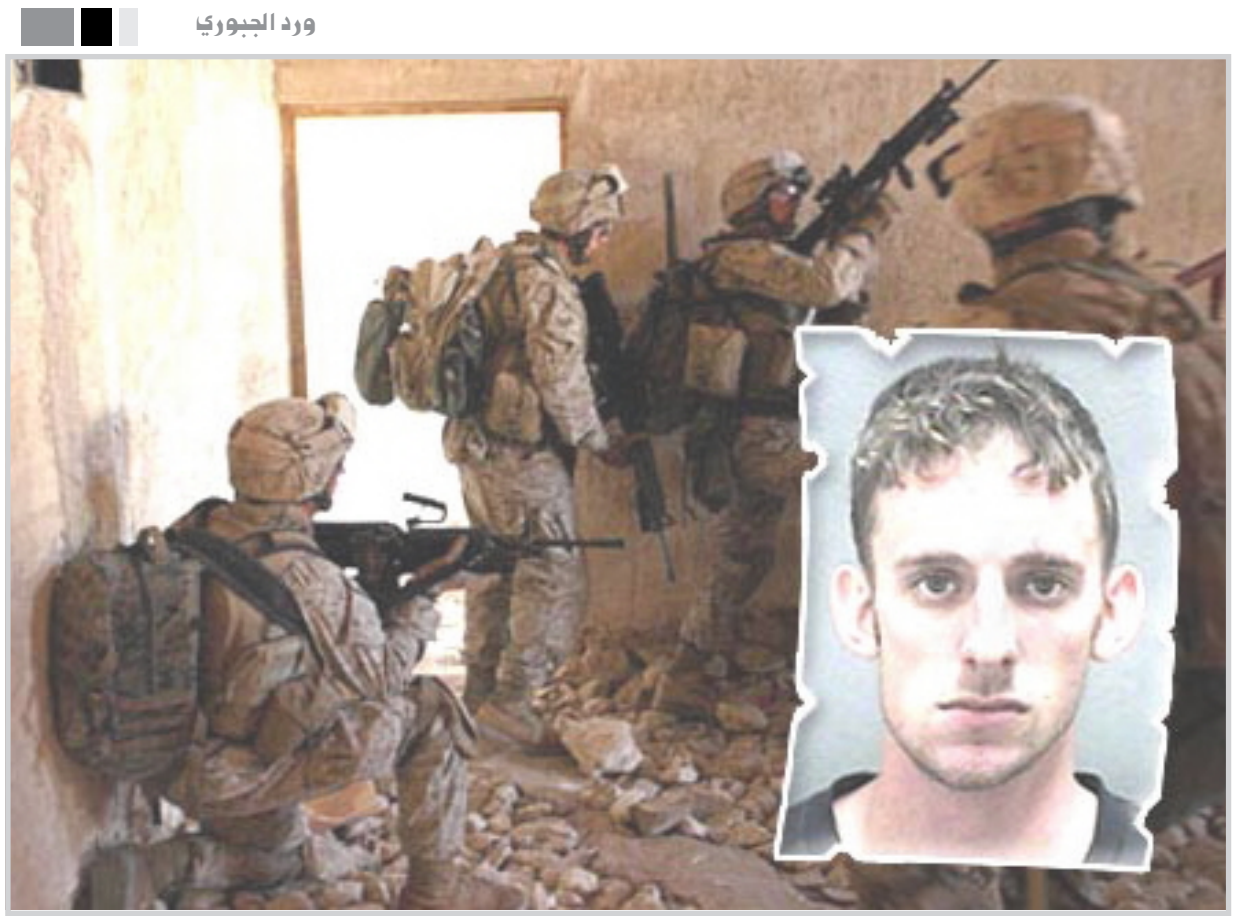
حادثة اغتصاب عبير الجنابي